موسوعة

حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات

المجلد الثالث

شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الشبهة الحادية عشرة

إنكار الإعجاز العلمي للقرآن بشأن إعادة تسوية البنان (*)

مضمون الشبهة:

في محاولة لطمس الحقائق العلمية في القرآن الكريم ينكر الطاعنون الإعجاز العلمي الوارد في قوله ﷻ: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ (القيامة: ٤) زاعمين أن المعنى المقصود بها ـ كما تقول جميع كتب التفسير ـ هو استواء أصابع أيدي الكفار يوم القيامة، فتصبح كحوافر الحيوانات غير قابلة للانحناء لالتقاط الأشياء.

ويستدلون على هذا الإنكار بأن كلمة "التسوية" لم تأت أبدًا في القرآن الكريم بمعنى الخلق الكلي أو إعادة الخلق، وإنما جاءت بمعنى التعديل والتقويم والإتمام، كما تقول المعاجم اللغوية.

وجه إبطال الشبهة:

إن المراد من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ (القيامة: ٤) هو إعادة خلق البنان (أطراف الأصابع) مقوَّمة متقنة ـ عند البعث ـ فالتسوية كناية عن الخلق؛ لأنها تستلزمه، فإنه ما سُوِّي إلا وقد أُعيد خلقه؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ (الأعلى: ٢)، يؤكد هذا أقوال المحققين من أهل التفسير. وقد جاء العلم حديثًا فأثبت أن جلد البنان يحتوي على رسوم وخطوط، ترسم بعناية فائقة في نهاية الشهر الثالث وبداية الشهر الرابع من عمر الجنين، وهو لا يزال في بطن أمه، ثم تبقى هذه الخطوط ـ بما تحويه ـ ثابتة لا تتغير أبدًا؛ حتى تبقى هوية ربانية دائمة لكل واحد من البشر.

وقد نشأ عن هذا ما يعرف باسم (علم البصمة) الذي أثبت أن البصمة لا تتطابق في فردين أبدًا؛ حتى ولو كانا من التوائم المتماثلة، بل لا تتطابق بين أصبعين من أصابع اليد الواحدة أو القدم الواحدة في الفرد الواحد. فأيُّ إعجاز علمي هذا الذي أشار إليه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان؟!

١. الحقائق العلمية:

لقد كشف العلم حديثًا النقاب عن بعض أسرار البنان، فبيَّن أن البصمة تتكوَّن من خطوط بارزة في بشرة الجلد، تجاورها منخفضات، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتمادى هذه الخطوط وتتلوَّى وتتفرع عنها تغصنات وفروع، لتأخذ في

(*) الرد على ادعاء الإعجاز في تسوية البنان، مقال منشور بموقع: مع اللادينيين والملحدين العرب www.nowlebanon.com. الرد على الإعجاز الوهمي في تسوية البنان، مقال بمنتدى: المسيحيين المغاربة www.movemegod.com

النهاية وفي كل شخص شكلًا مميزًا[١].

" وتتكوَّن بشرة الجلد من خمس طبقات أسفلها الطبقة الملاصقة للجلد، وهي التي تجدِّد البصمة إذا تأثرت بعارض خارجي. وقد أثبتت دراسات الجنين البشري أن هذه الخطوط المميزة لكل فرد تُرسم بعناية فائقة في نهايات الشهر الثالث وبدايات الشهر الرابع من عمر الجنين وهو لا يزال في بطن أمه، وقد اكتمل هيكله العظمي، وتمَّت كسوته باللحم (العضلات والجلد) واكتملت أعضاؤه وأجهزته، وأخذت الملامح البشرية في الظهور عليه، وأصبح في الطريق إلى إنشائه خلقًا آخر...

وتبقى هذه الخطوط بأشكالها، وتفرعاتها، ومواضع اتصالها أو انفصالها ثابتة لا تتغير أبدًا؛ حتى تبقى هوية ربانية دائمة لكل واحد من بني الإنسان، إلا إذا تمَّ تشويه الأنامل تشويهًا كاملًا، ووصل هذا التشويه إلى الطبقة السفلى من الجلد وهي الطبقة المعوضة للبصمة، فإذا دُمِّرت هذه الطبقة فإن البصمة لا تُعوَّض، ويتم التحام الجلد ليبقى علامة مميزة أخرى بما يحمل من آثار التشوه.

ومن الثابت علميًّا أن البصمات هي صفات فردية محضة لا تورث، ولا تتأثر بعامل النسب، ومن هنا كانت أهميتها في مجال تحقيق الشخصية، ويمكن استخدامها كذلك في التعرف على شيء من صفات تلك الشخصية من مثل الجنس (ذكر أم أنثى)، العمر، الحالة الصحية، الحجم (وذلك لتناسب حجم البصمة مع حجم الجسم)، والمهنة وغير ذلك، والبصمات تترك آثارها على كل جسم تلمسه، سواء كان هذا الجسم ذا سطح خشن أو أملس.

ومن هنا يمكن الاستفادة منها بإبرازها في تتبع العديد من المجرمين، ومعرفة تفاصيل حدوث الجريمة"[٢].

بصمات لِبناني شخصين مختلفين
توضحان الفرق بين البصمات وإن تشابهت.

١. رحيق العلم والإيمان، د. أحمد فؤاد باشا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٠٥ بتصرف.

٢. الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٥٧، ١٥٨.

وتأكيدًا لما سبق يذكر تاريخ العلوم أن العالم البولندي "بركنجي" [١] من أوائل من لاحظوا أن بجلد الأصابع بروزات ذوات أشكال معينة. وفي عام ١٨٥٨م أثبت السير "وليم هرشل"[٢] أن شكل بشرة الأصبع يدل على صاحب هذا الأصبع ويثبت فرديته.

وعلى الرغم من أن السير "فرنسيس جالتون"[٣] قد أثبت عام ١٨٩٢م أن صورة البصمة لأي أصبع تعيش مع صاحبها طول حياته فلا تتغير، إلا أن الريبة بقيت بين الناس والقضاة بشأن هذه البصمات إلى أن وقعت جريمة في مدينة "ديتفورد" بإنجلترا، وأمكن اكتشاف القاتل بمضاهاة بصمة أصبعه ببصمة تركها بموقع الجريمة، وكانت البصمة في اليوم التالي على الصفحات الأولى من صحف لندن، وأطلق عليها "البصمة التاريخية"؛ لأنها أزالت الشكوك بشأن البصمات ودلالتها أكثر من الإمضاء أو أي شيء آخر على إثبات شخصية المرء؛ فهي أدل على الإنسان من وجهه ومن صورته، وهي من أخص خصائصه.

ومن الثابت علميًّا أن جلد الأصبع لو احترق وتكوَّن مكانه جلد جديد لظهرت البصمات بنفس أشكالها التي كانت عليها في الجلد القديم[٤].

إذًا فبصمات الشخص الواحد تظل ثابتة مدى الحياة لا تتغير أبدًا، ما لم تصب بحرق أو تشويه كامل[٥]، بل وتبقى بعد الوفاة إلى أن تحلَّل أنسجة الجلد جميعها، ولا يكفي أن تسقط بشرة الجلد الخارجية لتزول البصمة؛ إذ إن الأدمة تحت البشرة تظهر البصمة بوضوح[٦].

وهذا ما حدا بالشرطة الجنائية والمخابرات العالمية في جميع الدول إلى الاعتماد عليها؛ للاستدلال على الأشخاص المطلوبين للعدالة أو المجرمين[٧].

ومن الشواهد الواقعية على ذلك ما حدث من بعض المجرمين بمدينة شيكاغو الأمريكية عندما تصوَّروا أنهم قادرون على تغيير بصماتهم، فقاموا بنزع جلد أصابعهم واستبداله بقطع لحمية جديدة من مواضع أخرى من أجسامهم، إلا أنهم أصيبوا بخيبة أمل عندما اكتشفوا أن قطع الجلد المزروعة قد نمت واكتسبت نفس البصمات الخاصة بكل شخص منهم.

---

١. أستاذ التشريح وعلم وظائف الأعضاء بجامعة براسلاو ببولندا.
٢. عالم إنجليزي، كان يعمل موظفًا في بريد البنغال، ويرجع إليه الفضل في كونه أول من استخدم علم البصمة تطبيقيًّا.
٣. عالم رياضيات، يعد أول من وضع أسس علم الوراثة البشرية.
٤. رحيق العلم والإيمان، د. أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص٢٠٦ بتصرف.
٥. انظر: القرآن والطب الحديث، د. أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٨.
٦. آيات سبقت العلم، د. مها محمد فريد عقل، مكتبة الطاهر، القاهرة، د. ت، ص٦.
٧. من معجزات القرآن بين الطب والعلوم الحديثة، د. سامي نوح حسن الموسوي، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٧م، ص٣٤٦ بتصرف.

كما وجد علماء التشريح أن إحدى المومياءات المصرية المحنَّطة قد احتفظت ببصماتها جلية[١].

أشكال البصمات:

"تأخذ البصمة عدة أشكال تؤخذ في مجالات التحقيقات الجنائية: (قوسي ***Arch*** - خَيمي ***Arch tented*** - حَلَقي ***Loop*** - متدل حلقي ***Nutant Loop*** - حلقي مزدوج ***Twinned Loop*** - حلزوني ***Whorl*** - جيبي جانبي ***Lateral Pocket*** - عرضي ***Accidental*** - مركب ***Composite***[٢]".

وإليك صورًا توضيحية مكبرة لبعضها:

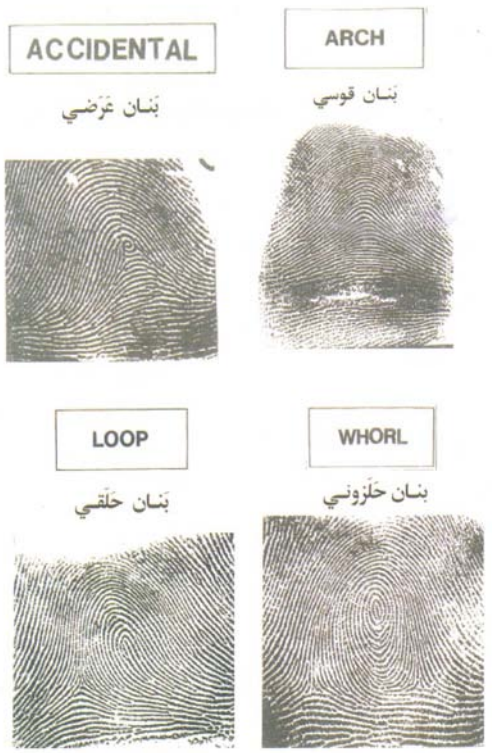

ويجمع هذه الأشكال أربعة أنواع من الخطوط فقط، وهي:

١. الأقواس، وليس لها زوايا.
٢. المنحدرات، ولها زوايا نحو اليمين أو الشمال.

---

١. الموسوعة العالمية في إعجاز القرآن والسنة النبوية المطهرة، أشرف فتحي الجندي، دار الروضة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣١٦، ٣١٧ بتصرف.
٢. معجزات القرآن العلمية في الإنسان: مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الراوي، دار العلوم، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٥٤.

٣. المستديرات، ولها زاويتان: يمينية وشمالية.
٤. الخطوط المركبة، وهي أنواع متعددة[١].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد ذكر العلماء الحاسبون في علم البصمات " أن لبصمة الأصبع نحو مائة من الصفات والخصائص التي تحدِّد أشكالها ومواضعها، وهم يبنون حساباتهم على امتحان اثنتي عشرة خصيصة اتفق عليها رجال الضبط والأمن بكل البلاد، ولن نجد اثنين يشتركان في هذه الخصائص الاثنتي عشرة إلا مرة في كل أربعة وعشرين بليونًا (مليارًا) من الأفراد[٢]، هذا إذا أخذت بصمة أصبع واحد، فما بالك بالأصابع العشرة؟!

وقد ورد في الموسوعة العربية العالمية سنة ١٩٨٩م أن سجل مكتب التحقيقات الفيدرالي ***FBI*** في الولايات المتحدة الأمريكية جمع حوالي مائة وخمسة وسبعين مليونًا من بصمات الأصابع فلم يكن بينها اثنتان متشابهتان تمامًا"[٣].

وجدير بالذكر أن العالم "فرنسيس جالتون" قد وضع كتابه الشهير (بصمات الأصابع) الذي يُعتبر مرجعًا أساسيًا في علم البصمات، واعتمدته الحكومة البريطانية عام ١٩٠١م، وحصر فيه أمر التعرف على بصمة الأصابع في نظام معين يقضي بأن لكل بصمة (١٢) ميزة خاصة. ومن الطريف أن من بين المليون الأول من البصمات التي حصلت عليها الشرطة في لندن، لم يعثروا على بصمتين متشابهتين في أكثر من (٧) مميزات من بين المميزات الـ (١٢).

كما أنه توجد في كل بصمة أنواع من المميزات بأعداد متفاوتة، وقد يتجاوز عددها في بصمة الأصبع الواحد (الخمسين) وقد يصل إلى المائة، وربما وجدنا في مساحة صغيرة من الجزء الأوسط للأصبع أكثر من عشرة منها.

وإليك نموذجًا من المميزات الخطية في الانطباعات الأصبعية في الأشكال الآتية:

www.eajaz.org

١. من معجزات القرآن ما بين الطب والعلوم الحديثة، د. سامي نوح حسن الموسوي، مرجع سابق، ص٣٤٦.
٢. قام معهد الدراسات والأبحاث والأدلة الجنائية في شيكاغو بأمريكا بدراسة هذا الإعجاز، فاستعان بالحاسب الآلي وعلم الاحتمالات، وأفاد بأنه احتمال تماثل بصمتين تماثلًا كليًا يمكن أن يكون مرة واحدة في كل ١٢٧ تريليار بصمة [أي ١٢٧ وأمامها ٢١ صفرًا]، وهو ما يقرب من اثني عشر مليون مليون مرة ضعف تعداد العالم كله، ترى كم يحتاج هذا العدد من الزمن لكي تتكرر بصمة واحدة؟!
٣. رحيق العلم والإيمان، د. أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص٢٠٦.

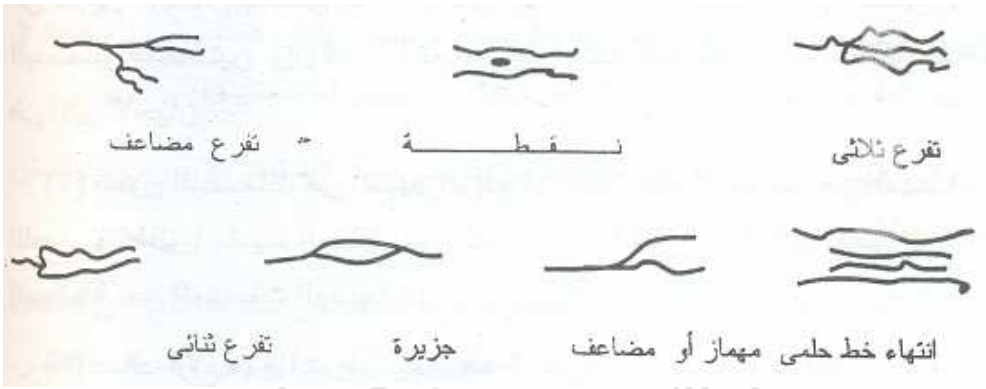

- **نظرية الاحتمالات وعلم البصمات واحتمال تطابق بصمتين:**

طوَّر هذه النظرية البروفيسور (سيمون نيوكومب) وهي تعتمد على أسس وقوانين محكمة، مثل جدول الضرب. ويقول بول كريك[1]: أن نظرية الاحتمالات هي المفتاح الوحيد لتفسير الأدلة الطبيعية.

ولنحاول تطبيق هذه النظرية على إمكانية تطابق بصمتين تطابقًا كاملًا من حيث: (النوع ـ الشكل ـ الموضع).

لنفرض أن أحدنا أخذ انطباعًا لإبهامه الأيمن والتقط صورة فوتوغرافية لهذا الانطباع، ثم كبَّرها عدة مرات كي يستطيع تحديد المميزات الخطية في بصمته، ولنفرض أنه بعد أن قام بهذا العمل وجد فيها (٤٥ ميزة).

ترى ما هي فرص العثور على بصمة أخرى، سواء في بقية أصابعه العشرة، أو في أصابع يدي أي إنسان آخر يعيش حاليًا على وجه البسيطة، وتحتوي على نفس المميزات بالضبط، من حيث العدد والأشكال والمجموع والمواضع النسبية؟!

وبتعبير آخر: هل يمكن أن تتكرر نفس البصمة مرتين وفي الوقت نفسه مع ما فيها من تفاصيل ذاتية بالغة الدقة؟!

إن كل ذي خبرة في الموضوع يستطيع الإجابة على هذه التساؤلات قائلًا ـ بثقة تامة وبكل بساطة: إن فرص تكرار بصمتين في آنٍ واحد هي نفس فرصة العثور على حبة رمل معينة من الرمال التي تقبع بمكان ما في الصحراء الكبرى أو الربع الخالي، ومن الطبيعي أن بمقدورنا أن نجد بصمة أخرى من نفس النوع أو الزمرة، وقد نجد فيها نقطة زاوية أو مراكز متشابهة أو مماثلة أو أننا قد نجد كذلك النقطتين معًا.

وربما صادفنا العدد نفسه من المميزات أيضًا، أي: خمس وأربعين ميزة، ولكن الشيء الذي يستحيل أن نصادفه وبالتأكيد، هو نفس المميزات الحلمية من حيث المواضع النسبية، وعندما يستبعد الخبراء احتمال وجود بصمتين متطابقتين في آن واحد لهذه الدرجة من التطرف، إنما يستندون ـ كما رأينا ـ إلى قوانين ونظريات، ومن بينها نظرية الاحتمالات المشار إليها سابقًا.

---

١. أستاذ العلوم الجنائية في جامعة كاليفورنيا.

والتي تنص على أنه "إذا كانت الوقائع مستقلة بعضها عن بعض، فإن احتمال توافقها وحدوثها هو حاصل ضرب احتمالاتها المنفصلة".

فإذا كان يوجد كمعدل وسطي عند شخص واحد من بين كل أربعين شخص بصمة دائرية بالسبابة اليمنى، وكان يوجد عند كل عشرين شخص بصمة دائرية بالإبهام الأيسر، فإن احتمال وجود البصمتين الدائريتين معًا في الأصبعين المذكورين عند أي شخص تختاره بشكل عفوي هو:

١/ ٤٠ × ١/ ٢٠ = ١/ ٨٠٠

وفيما يختص بالميزات الفردية، فقد اختلفت تقديرات العلماء والخبراء حول فرصة تكرارها في فترة زمنية واحدة، وأخص بالذكر منهم (جالتون، بلتازارو، رموس، ني وورث، تشريل)؛ فقد قدر جالتون أن هناك أقل من فرصة واحدة من بين (٦٤ مليارًا) لوجود بصمة واحدة مطابقة للأخرى، وهذا الرقم بالطبع أضعاف أضعاف عدد سكان الأرض في زماننا هذا!

وقد بنى جالتون تقديره هذا على أساس المميزات الرئيسية الأربعة للبصمة، وهي:

١. انتهاء الخط باتجاه أعلى أو أسفل.
٢. تفرع الخط إلى فرعين أو أكثر.
٣. وجود جزيرة أو نقطة.
٤. وجود حلقة في نهاية الخط.

فإذا أخذنا الميزة الأولى من بصمة ما نجد أن احتمال وجود ميزة أخرى مطابقة لها في نفس الموضع، من خلال الميزات الأربع الأساسية السابقة، هو:

١/ ٤ × ١/ ٤ = ١/ ١٦

وإذا تابعنا تقدير الاحتمالات يتضح لنا أن فرصة وجود بصمتين متطابقتين هي فرصة بعيدة المنال جدًّا، إن لم نقل أنها مستحيلة، ولعل من أطرف الشروح المبسطة المتعلقة بتطبيق نظرية الاحتمالات، على البصمات وأقربها للأذهان ـ ما نشره (بيرت وينوورث) يقول:

إذا قبلنا تقدير (بلتا زار) بأن تكرار الميزة مرة واحدة كل أربع مرات (كما هو موضح سابقًا) فإننا سنجد عندما نرفع الرقم (٤) إلى القوة (٤٥) يصبح لدينا العدد التالي:

(٤^٤٥) = ١,١٧٦ ,٧٠٦ , ٦٩٤ , ٦٠٠ , ٩٩٥, ٨١٨ , ٩٢٥ , ٢٠٨ , ١

وهذا العدد أكثر من سيبتليون (***Septillion***)، ولكي نبين للقارئ الكريم ماذا يعني السيبتليون.

لنفرض أن شخصًا حاول أن يعد السيبتليون بوضع شُرط (جمع شرطة)، وهي جرة القلم على الورقة بمعدل ثلاث جرات في الثانية، فإنه في ظرف سنة واحدة سيتمكن من وضع (٩٤ ,٦٧٤ ,٤٤٤) جرة فقط، وبما أن هذه المهمة شاقة جدًّا، لذا سيجد من الضروري الاستعانة بجهد كل شخص على وجه الأرض دون استثناء أحد

مطلقًا، حتى الأطفال والمرضى سيضطر لإجبارهم على وضع جرات أقلامهم على الورق بمعدل ثلاث جرات في الثانية، وذلك دون توقف للنوم أو للراحة، ومع العلم أن عدد سكان العالم حاليًا يبلغ حوالي (٥, ٥ مليارات نسمة تقريبًا[١]، وعلى الرغم من استخدام ذلك العدد الهائل من الصفوف البشرية، فإن جهودهم المجتمعة لن تنتهي إلا بعد ما يقرب من (ثلاثة ملايين من السنين!!)، وطبعًا هذا على افتراض أنه يمكن بالشكل النظري العثور على بصمتين متطابقتين عند شخصين مختلفين، ولكن مرة واحدة فقط في فترة أطول من تلك التي يقدرها الفلكيون لازمة لبرودة الشمس، ومن ثم فإن العثور على مميزات متطابقة عند شخصين مختلفين هي استحالة مطلقة!!

ولقد قدَّر (جالتون) أن ثمة أقل من فرصة (من أربعة وستين مليارًا) لتكرار بصمة واحدة مرتين في وقت واحد!!

ترى إذا قبلنا هذا التقدير، فماذا ستكون فرصتنا للعثور على مثيل مطابق ليجمع بصمات الأصابع العشرة؟! يتبين من الحساب أنه ستكون فرصة واحدة من العدد الآتي:

(٦٤×١٠^٩)^١٠ = (٩٧٦, ٨٤٦, ٦٠٦, ٩٠٤, ٩٢١, ١٥٢, ١×١٠^٩٠)

وهذا العدد يفوق جميع الإدراك البشري!!

ولقد اعتمد (بلتا زار) في تقديره على الحقيقة المعروفة وهي أن المعدل الأوسط من التفاصيل الدقيقة في بصمة الأصبع الواحدة هو (١٠٠ ميزة)، ومع وجود هذه الميزات المائة فإن فرصة تكرار أصبع واحدة تحمل مائة ميزة هي فرصة واحدة من عدد يتألف من (٦١ رقمًا)، وبحساب ذلك بصورة مفصلة يتبين لي أننا نستطيع أن نعبر عن فرصة التكرار بالعد الخيالي الآتي:

٣٧٦, ٣٠١, ٧٩٥, ٤٠١, ٦٠٤, ٠٦٩, ٦٧٦, ٢٢١, ٩٦٨, ١٦٧, ٥٦٤, ٧٠٥, ٨٠٩, ٧١٦, ٧٢٩, ١٧١, ٩٧٤, ٩٣٧, ٦٠٦, ١

وإذا بلغ بك الفضول لمعرفة احتمالية تكرار جميع البصمات العشرة مجتمعة فما عليك إلا أن تضرب هذا العدد في نفسه تسع مرات[٢]!!

ومن ثم فقد أثبت العلم حديثًا أن البصمة "لا تتطابق في فردين أبدًا حتى لو كانا من التوائم المتماثلة، بل لا تتطابق بين أصبعين من أصابع اليد الواحدة أو القدم الواحدة في الفرد الواحد"[٣].

هذا وقد أكد على جميع ما سبق من حقائق علمية المرجع الطبي الأجنبي (*Cyril John Polson et al*) حيث قال:

The pattern of each person's impressions is unique. No two

---

١. هذا العدد كان عندما كتب المؤلف كتابه، أما الآن فهو أكثر من ذلك.

٢. علم البصمات، العقيد إبراهيم غازي، نقلا عن: إشارات قرآنية للعلوم الرياضية والإعجاز الحسابي، عبد الباسط محمود بخيت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٦٥: ١٧٠ بتصرف.

٣. الإنسان من الميلاد إلى البعث، د. زغلول النجار، مرجع سابق، ص١٥٦.

impressions have yet been found to coincide precisely unless both were made by one and the same area of friction skin. The accumulation of millions of records over a hundred million in the U. S. A alone, has as yet failed to disturb the validity of this observation.

The pattern of an individual's friction skin remains unchanged throughout life. Herschel (1880 - 1916) first demonstrated this. His own impression taken when aged 28 and again at 82 were unchanged except for the addition of the coarse line due to old age and clearly recognizable as such.

وترجمة ملخصة لما سبق تشتمل على المعلومات الآتية:

إن نموذج البصمة لكل شخص يكون فريدًا أو وحيدًا، وعلى هذا لا توجد بصمتان حتى الآن تتطابقان تمامًا، إلا أن تكونا لنفس الشخص ومن نفس مكان البصمة، وإن تجميع ملايين البصمات التي سُجلت لمئات الملايين من البشر في الولايات المتحدة الأمريكية (***U. S. A***) وحدها قد فشلت في الإخلال بصحة هذه المشاهدة.

كما لوحظ أن نموذج البصمة لأي شخص لا يتغير على مدار رحلة العمر، فهذا هو العالم ***Herschel*** قد أوضح ذلك عندما أخذ بصمة أصابعه وعمره ٢٨ سنة، ثم مرة أخرى عندما أصبح عمره ٨٢ سنة، فوجد أن البصمة لم تتغير إلا من بعض الإضافات نتيجة لتجاعيد الزمن[١].

٢. التطابق بين الحقائق العلمية وما أشارت إليه الآية الكريمة:

لا شك أن الله تعالى الذي خلق الإنسان من عدم فجعله في أحسن تقويم لقادر على إعادة هذا الخلق العجيب - بكل ما فيه دون زيادة أو نقصان - مرة أخرى، وذلك أهون عليه؛ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ (القيامة).

وهنا أثار المشككون شبهتهم زاعمين أن المعنى المقصود من الآية الثانية هو استواء أصابع الكافر يوم القيامة فتصبح كحوافر الحيوانات غير قابلة للانحناء؛ لالتقاط الأشياء.

وهذا التفسير يخالف سياق الآية والسبب الذي من أجله نزلت.

ولعلَّ نظرة إلى الدلالات اللغوية التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة، وأقوال المفسرين حولها - توضِّح لنا بجلاء ما تحويه من إعجاز علمي رائع.

- **من الدلالات اللغوية في الآية الكريمة:**

البَنَان: أطراف الأيدي والأرجل[٢].

---

١. آيات سبقت العلم، د. مها محمد فريد عقل، مرجع سابق، ص٥، ٦.

٢. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (بنن). وانظر المعجم الكبير، مادة: (بنن).

وجاء في المخصص لابن سيده: البَنَان: واحدته بنانة. قال أبو عبيدة: البنان: أطرافها[١].

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: قال الخليل: البَنَان: أطراف الأصابع في اليدين[٢].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: بنان مفرده (بنانة): أطراف الأصابع، أو الأصابع ذاتها[٣].

- **من أقوال المفسرين حول الآية الكريمة:**

يقول الفخر الرازي: "إنه نبَّه بالبنان على بقية الأعضاء؛ أي نقدر على أن نسوي بنانه بعد صيرورته ترابًا كما كان، وتحقيقه: أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضًا عليه في الإعادة، وإنما خصَّ البنان بالذكر؛ لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل: نقدر على ضمِّ سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولًا من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام"[٤]؟!

ويحكي القرطبي قول القتبي والزجاج قائلًا: "وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام؛ فقال الله تعالى: بلى قادرين على أن نعيد السُّلاميات على صغرها، ونؤلِّف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر"[٥].

وقال ابن كثير: "أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه؛ أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه - وهي أطراف أصابعه - مستوية، وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج"[٦].

وقال الثعالبي: "نسوي بنانه، معناه: نتقنها سوية، قاله القتبي: وهذا كله عند البعث"[٧].

ويقول البقاعي: "هو تنبيه على التأمل في لطف تفصيل الأنامل وبديع صنعها الموجب للقطع بأن صانعها قادر على ما يريد"[٨].

---

١. المخصص، ابن سيده، باب: الأصابع وما فيها.
٢. مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (بن).
٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، مادة: (بنن).
٤. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾.
٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٩، ص٩٤.
٦. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٤، ص٤٤٨.
٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج٤، ص٣٦٥.
٨. نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾.

ويؤكد صاحب الظلال على ما سبق فيقول: "النص يؤكد عملية جمع العظام، بما هو أرقى من مجرد جمعها، وهو تسوية البنان، وتركيبه في موضعه كما كان، وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه، وإكماله، بحيث لا تضيع منه بنان، ولا تختل عن مكانها، بل تُسوي تسوية، لا ينقص معها عضو ولا شكل هذا العضو، مهما صغر ودقَّ"[١].

وقد رجَّح ما سبق من تفسير كثير من أئمة التفسير: قال الفخر الرازي: "أقرب إلى الصواب"[٢]. وقال القرطبي: "أشبه بمساق الآية"[٣]. ويقول ابن كثير: "والظاهر من الآية أن..." وذكر التفسير السالف الذكر[٤]. ويقول الثعالبي: "أحرى مع رصف الكلام"[٥].

أما عن التفسير الذي تشبث به المشككون فهو يخالف سياق الآية والسبب الذي من أجله نزلت.

قال الشنقيطي: "هذا في الواقع لم نفهم له وجهًا مع السياق، فهو وإن كان دالًّا على قدرة الله وعجز العبد، ولكن السياق في إنكار البعث واستبعاده، ومجيء نظير ذلك في سورة (يس) يرشد إلى أنه سبحانه قادر بعد موت العبد وتلاشيه في التراب، وتحوُّل عظامه رميمًا، فهو قادر على أن يعيده تمامًا كما أنشأه أول مرة، ومن ضمن تلك الإعادة أن يسوي بنانه؛ أي: يعدلها وينشئها كما كانت أول مرة"[٦].

وقيل أن هذه الآية: "نزلت في عدي بن أبي ربيعة قال للنبي ﷺ: يا محمد حدثني عن يوم القيامة، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال عدي: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك، أوَيجمع الله العظام؟! فنزلت هذه الآية. ألا قلت: إن سبب النزول لا يخصص الإنسان بهذا السائل"[٧].

ومعنى هذا أن كل منكر للبعث تنطبق عليه الآية التي بين أيدينا؛ ولذا قال ﷻ في الآية التي قبلها: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بصيغة العموم؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول علماء الأصول.

وأما قولهم: إن هذا التفسير قد ذكرته كتب التفسير كافة، فليس بمسوغ لقبوله؛ إذ إنها قد ذكرته من باب عرض المسألة برمتها، ثم رجَّحت كثير منها القول الأول السالف الذكر ـ الذي اعتمدناه ـ وهذا دأب كثير من كتب التفسير؛ لا سيما القديم منها.

وبهذا يتبيَّن لنا مما سبق من الدلالات اللغوية وأقوال المفسرين أن البنان هو

---

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٦، ص٣٧٦٨، ٣٧٦٩.
٢. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، مرجع سابق.
٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١٩، ص٩٤.
٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤٨.
٥. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، مرجع سابق، ج٤، ص٣٦٥.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٨، ص٣٧٢.
٧. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د. ت، ج٢٩، ص٣٣٩.

أطراف الأصابع التي هي أصغر جزء في جسم الإنسان، وقد سمِّيت بذلك؛ لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يَبِنَّ بها، يريد أن يقيم به[١] " أي: يتحسس بها الأحوال لتركيز النهايات العصبية والحسية فيها. يقال: أبَنَّ بالمكان يَبِنُّ: إذا استقر وأقام فيه، ولذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾، وقال: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأنفال: ١٢)؛ أي: اضربوا على أيديهم التي بها يقاتلون"[٢].

ومن ثم رأينا القرآن الكريم يتحدَّى في الآية التي معنا من يشككون في يوم البعث، فيذكر أمرًا ما كان يخطر على بال البشر في ذلك العصر، وهو أن الله تعالى سوف يجمع هذه العظام ويعيد خلق هذا الإنسان كما أنشأه أول مرة، وأن القدرة الإلهية في الخلق تصل إلى حد تمييز كل إنسان عن غيره ببصمة الأصبع[٣].

تلك البصمة التي تعتبر ختمًا إلهيًّا جعله الخالق ﷻ علامة جماعية فارقة للإنسان دون غيره من المخلوقات المعروفة لنا، كما جعله ميزة فردية لكل واحد من بني الإنسان تحدِّد شخصيته تحديدًا قاطعًا، وتفرده عن غيره إفرادًا مميزًا يتجاوز حدود الصفات الموروثة والمميزة لكل عرق ودم ولون، وذلك طيلة حياته.

فالآية بذلك تؤكد على إعادة بصمة كل بنان مع بعث كل ميت؛ تأكيدًا على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في كل من الخلق والبعث، كما تشير إلى دقة تسوية

١. انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص٦٢.
٢. الإنسان من الميلاد إلى البعث، د. زغلول النجار، مرجع سابق، ص١٥٩.
٣. القرآن والطب الحديث، د. أحمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص١٢٧ بتصرف.

البنان وإلى أهمية ذلك في حياة الإنسان[١].

ولكن المفسرون القدامى كانوا يمرون على هذه الآية مرورًا عابرًا، ولا يفهمون ما فيها من إعجاز علمي؛ لأن بصمة الأصبع لم تكن قد اكتُشفت أو عُرف أهميتها ودورها في الكشف عن أي شخص وتمييزه عن غيره[٢].

وظل الأمر على هذا إلى أن جاء القرن التاسع عشر الميلادي، فاكتشف عالم التشريح "بركنجي" (***Purkinje***) عام ١٨٢٣م حقيقة البصمات، ووجد أن الخطوط الدقيقة الموجودة في رءوس الأصابع (البنان) تختلف من شخص لآخر، ووجد ثلاثة أنواع من هذه الخطوط: أقواس أو دوائر أو عقد أو على شكل رابع يُدعى: المركبات؛ لتركيبها من أشكال متعددة.

وفي عام ١٨٥٨م ـ أي: بعد (٣٥) عامًا ـ أشار العالم الإنجليزى "وليم هرشل" (***William Herschel***) إلى اختلاف البصمات باختلاف أصحابها، مما جعلها دليلًا مميزًا لكل شخص.

وفي عام (١٨٧٧م) اخترع الدكتور "هنري فولدز"[٣] (***Henry Faulds***) طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع.

وفي عام (١٨٩٢م) أثبت الدكتور "فرانسيس جالتون" (***Francis Galton***) أن صورة البصمة لأي أصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته، فلا تتغير رغم كل الطوارئ التي قد تصيبه.

وفي عام (١٨٩٣م) أسس "إدوارد هنري"[٤] (***Edward Henry***) نظامًا سهلًا لتصنيف وتجميع البصمات، لقد اعتبر أن بصمة أي أصبع يمكن تصنيفها إلى واحدة من ثمانية أنواع رئيسة، واعتبر أن أصابع اليدين العشرة هي وحدة كاملة في تصنيف هوية الشخص، وأدخلت في نفس العام البصمات كدليل قوي في دوائر الشرطة في إسكتلند يارد، كما جاء في الموسوعة البريطانية.

ثمَّ أخذ العلماء منذ اكتشاف البصمات بإجراء دراسات على أعداد كبيرة من الناس من مختلف الأجناس، فلم يعثر على مجموعتين متطابقتين أبدًا[٥].

وذلك لأن العلم الحديث يؤكد أنه لا يمكن حدوث أي تشابه في بصمة إنسان وآخر على ظهر الأرض بين هذه البلايين من البشر، وقد ثبت علميًّا أن البصمة لا تقتصر على الأنامل وحدها، ولكن تكون أيضًا على الكف والقدمين[٦].

---

١. الإنسان من الميلاد إلى البعث، د. زغلول النجار، مرجع سابق، ص١٥٩ بتصرف.
٢. القرآن والطب الحديث، د. أحمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص١٢٧ بتصرف.
٣. عالم إنجليزي، قضى أعوامًا في اليابان، يعمل في مستشفى (تشوكيجيشي) بطوكيو.
٤. مفوض إسكتلند يارد ببريطانيا، وكان يعمل موظفًا بالشرطة.
٥. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٦٩، ١٧٠.
٦. القرآن والطب الحديث، د. أحمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص١٢٧، ١٢٨ بتصرف.

بصمة الأصبع تميز كل شخص عن غيره

كل هذه الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث يشير إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، في كلمات قليلة ولكنها فاصلة وواضحة، لا لبس فيها، ولا تحتمل التأويل ـ كدليل على إعجاز الخلق، وكدليل آخر على الإعجاز العلمي للقرآن.

ومن هنا نعلم أن سر تخصيص الله تعالى للبنان دون غيره من الأعضاء، وجعله إحدى آياته ـ هو أن أي عضو في جسم الإنسان قد يتشابه مع نظيره لدى إنسانٍ آخر، أما جلد البنان فقد أثبت العلم الحديث ـ كما ذكرنا ـ أن لكل إنسان رسومًا وخطوطًا في بنانه تختلف عن الآخر؛ فلا يشبه بنان بنانًا من جميع البشر، ولذا كانت بصمة البنان أقوى برهانًا على إثبات شخصية المرء وأدل عليه من أي شيء آخر[1]. فأي إعجاز بعد هذا؟!

وعلى الرغم مما ذكرناه من إعجاز علمي في الآية الكريمة إلا أن المشككين في الإعجاز العلمي للقرآن قد راحوا يختلقون الأدلة لإثبات ما أثاروه من طعون، فقالوا: إن التسوية لم تأت في القرآن أبدًا بمعنى الخلق الكلي أو إعادة الخلق، وإنما جاءت بمعنى التعديل والتقويم والإتمام.

وهذا الكلام ينمُّ ـ خاصة بعدما أثبته العلم من حقائق في هذا الصدد ـ عن فهم قاصر وفكر مضطرب؛ إذ إن قائليه قد وقفوا عند حرفية كلمة "التسوية" من حيث معناها اللغوي فحسب، ناسين أو متناسين أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد تحديدًا دقيقًا.

وبالنظر إلى الآية التي معنا نجد أنها قد جاءت في معرض الرد على منكري البعث في كل زمان ومكان ـ كما أوضحنا سابقًا ـ ومن ثم صوَّرت الآية طلاقة القدرة

١ـ الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين العلم والكون والإيمان، د. أحمد عبده عوض، المكتبة القيمة، القاهرة، ص٢٤٣، ٢٤٤ بتصرف.

الإلهية أبلغ تصوير؛ حيث ذكرت أن الله قادر على إعادة تسوية البنان ـ الذي يحتوي على البصمة ـ وتركيبه في موضعه كما كان، فما بالك بالعظام الكبار؟!

إذًا فلفظ "التسوية" مناسب ـ هنا ـ تمام المناسبة لما سبق؛ إذ إن الأمر ليس قاصرًا على خلق البنان فحسب، وإنما يحتاج ذلك إلى تسوية وإتقان؛ حتى يكون البنان خاتمًا خاصًّا لكل إنسان، يميزه عن غيره من البشر، وهذا هو الإعجاز العلمي الذي أشار إليه الخالق جلَّ وعلا في الآية الكريمة.

يقول ابن عاشور: "أُريد بالتسوية إعادة خلق البنان مقوَّمة متقنة؛ فالتسوية كناية عن الخلق؛ لأنها تستلزمه، فإنه ما سُوِّي إلا وقد أُعيد خلقه؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾[1].

هذا بالإضافة إلى أن التسوية كما يقول علماء الأجنة هي مرحلة تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات؛ فالجنين قبل الشهر الثالث يكون أشبه بالحيوانات، لا تستطيع أن تميزه عنها، فإذا جاء هذا الشهر بدأت مرحلة التصوير والتسوية والتعديل؛ حتى يصير الجنين في أحسن تقويم[2]؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ (التين: ٤).

وبذلك تذهب شبهة هؤلاء الطاعنين أدراج الرياح، وينجلي الفهم الصحيح للآية الكريمة واضحًا جليًّا، كالشمس في رابعة النهار.

٣. وجه الإعجاز:

لقد كشف العلم حديثًا النقاب عن بعض أسرار البنان؛ فأثبت أن جلد البنان (أطراف الأصابع) يحتوي على رسوم وخطوط بأشكال معينة ـ وهو ما يعرف باسم البصمة ـ ترسم بعناية فائقة في نهاية الشهر الثالث وبداية الشهر الرابع من عمر الجنين، وهو لا يزال في بطن أمه، ثم تبقى هذه الخطوط بما تحويه ثابتة لا تتغير أبدًا؛ حتى تبقى هوية ربانية دائمة لكل واحد من البشر.

كما أثبت العلم حديثًا أن البصمة لا تتطابق في فردين أبدًا؛ حتى لو كانا من التوائم المتماثلة، بل لا تتطابق بين أصبعين من أصابع اليد الواحدة أو القدم الواحدة في الفرد الواحد. وهذا ما حدا بالشرطة الجنائية والمخابرات في معظم دول العالم إلى الاستفادة منها في تتبع الأشخاص المطلوبين للعدالة أو المجرمين.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان؛ فقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ جوابًا لنفي البعث في قوله السابق: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾، أفلا يعدُّ هذا إجازًا علميًّا رائعًا، تتجلى فيه طلاقة قدرة

١. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٩، ص٣٤١.
٢. انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية، السعودية، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٣٧٢: ٣٧٥.

الخالق ﷻ، القائل في كتابه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣).

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH
رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE
www.eajaz.org

MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها. أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ، لتوفر وسيلة معاصرة للدعوة الإسلامية تقدم بها البرهان الساطع والحجة البالغة على صدق الرسالة المحمدية من خلال العلم؛ هذا الشاهد العدل الذي ارتضاه عالمنا المعاصر حكماً ومرجعاً.

الـرؤيـة

هيئة عالمية رائدة . . لمعجزة نبوية خالدة.

الـرسـالة

تحقيق أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وإظهارها للناس كافة.

الاستراتيجية

- مرجعية شرعية وعلمية لعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- نشر وإبراز أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- تنمية الموارد المالية و تنويع مصادرها.
- استخدام التقنيات الحديثة وتطويرها لخدمة برامج وأهداف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

رقم حساب الهيئة بالبنك الأهلي التجاري

SA751 0000000 155055 000109

www.eajaz.org e-mail: info@eajaz.org